سورة يونس

قال الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله تعالى :

قوله تعالى : (قل يأيها الناس إن كنتم في شك من ديني فلا أعبد الذين تعبدون من دون الله ولكن أعبد الله الذي يتوفاكم وأمرت أن أكون من المؤمنين . وأن أقم وجهك للدين حنيفاً ولا تكونن من المشركين ولاتدع من دون الله ما لا ينفعك ولا يضرك فإن فعلت فإنك إذا من الظالمين)(١) فيه ثمان حالات :

الأولى : ترك عبادة غير الله مطلقاً ولو حاوله أبوه وأمه بالطمع الجليل والإخافة الثقيلة كما جرى لسعد(٢) مع أمه .

---

(١) سورة يونس : ١٠٤ ــ ١٠٦ .

(٢) روى مسلم والترمذي وغيرهما في سبب نزول قوله تعالى : (ووصّينا الإنسان بوالديه حُسْناً وإن جاهداك لتشرك بي ما ليس لك به علمٌ فلا تطعهُما إليَّ مرجعكم فأنبئكم بما كنتم تعملون) سورة العنكبوت : الآية ٨ ، أنها نزلت في سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه ، قال : كنت باراً بأمي ، فأسلمت ، فقالت : لتدعن دينك أو لا آكل ولا أشرب حتى أموت ، فتُعيَّر بي ويقال : يا قاتل أمه . وبقيت يوما ويوماً فقلت : يا أماه ، لو كانت لك مائة نفس فخرجت نفساً نفسا ما تركتُ ديني هذا ، فإن شئت فكلي وإن شئت فلا تأكلي ، فلما رأت ذلك أكلت ، ونزلت هذه الآية : راجع التفاسير الكبيرة .

الحال الثانية : أن كثيراً من الناس إذا عرف الشرك وأبغضه وتركه لا يفطن لما يريد الله من قلبه من إجلاله وإعظامه وهيبته ؛ فذكر هذه الحال (ولكن أعبد الله الذي يتوفاكم) .

الحال الثالثة : إن قدرنا أنه ظن وجود الشرك والفعل منه فلا بد من تصريحه منه بأنه من هذه الطائفة ؛ ولو لم يقض هذا الغرض إلا بالهرب عن بلاد كثير من الطواغيت الذين لا يبلغون الغاية في العداوة حتى يصرح بأنه من هذه الطائفة المحاربة لهم .

الحال الرابعة : إن قدرنا أنه ظن وجود هذه الثلاث فقد لا يبلغ الجد في العمل بالدين ، والجد والصدق هو إقامة الوجه للدين .

الحال الخامسة : إن قدرنا أنه ظن وجود الحالات الأربع فلا بد له من مذهب ينتسب إليه ، فأمر أن يكون مذهبه الحنيفية وترك كل مذهب سواها ولو كان صحيحاً ، ففي الحنيفية عنه غنية .

الحال السادسة : إن قدرنا أنه ظن وجود الحالات الخمس فلا بد أن يتبرأ من المشركين فلا يكثر سوادهم .

الحال السابعة : إن قدرنا أنه ظن وجود الحالات الست فقد يدعو من قلبه نبياً أو غيره لشيء من مقاصده ، ولو كان ديناً يظن أنه إن نطق بذلك من غير قلبه لأجل كذا وكذا خصوصاً عند الخوف أنه لا يدخل في هذا الحال.

الحال الثامنة : إن ظن سلامته من ذلك كله ولكن غيره من إخوانه فعله خوفاً أو لغرض من الأغراض ، هل يصدق الله أن هذا ولو كان أصلح الناس قد صار من الظالمين ؟ أو يقول : كيف أكفره وهو يحب الدين ويبغض الشرك وما أعز من يتخلص من هذا ، بل ما أعز من يفهمه وإن لم يعمل به ، بل ما أعز من لا يظنه جنوناً والله أعلم .